مفهوم الكفاءات العراقية

من الواضح إن مفهوم وحدود وطبيعة طبقة ما يمكن تسميتهم بالكفاءات العراقية قد تباين كثيرا في تفسيرات المؤلفين المعنيين بدراسات المجتمع العراقي والمجتمعات الشرقية عموما. فبعضهم يرى ان الثورة العلمية والتكنولوجية كونت نظام شامل سمته الأساسية التقدم العلمي والتطور التطبيقي والتكنولوجي، وبذلك اصبح العلم نفسه قوة إنتاجية مباشرة.

فالكفاءات يسميها البعض بالطبقة المتوسطة في المجتمع، التي يحد سقفها العلوي القلة الحاكمة التي تمتلك السلطة والثروة، في حين تستند قاعدتها على طبقة العمال والفلاحين والكسبة وبقية الشرائح المعدمة في قاع المجتمع. وبذلك فان هذه الطبقة تمثل صمام أمان تماسك ووحدة المجتمع، وهي أشبه بمحطة تتقاطع فيها الشرائح المتهاوية من الطبقات العليا أو الشرائح الصاعدة من قاعدة المجتمع (خالد المعيني، ٢٠١٢).

والطبقة المتوسطة حسب المعيني تمتاز بالخصائص التالية:

- العمل كمرشح (مصفاة) لتجسير الفجوة القائمة ما بين القلة الحاكمة ومابين الشعوب، ومثل هذه الفجوة لا يمكن سدها إلا بالطبقة المتوسطة التي تتيح أكبر قدر من المشاركة الجماهيرية بعد عقلنة مطاليب هذه الجماهير وإضافة مستوى عالي من النضج والوعي عليها.
- الانحياز إلى الجماهير الفقيرة من حيث التصاقها بهم وتفهم أوضاع ومعاناة الشرائح الفقيرة والمعدومة.
- خاصية التأثير والانجاز وقدرتها على الإفصاح عن حاجات المجتمع بأكبر قدر من الوعي بسبب امتلاكها الوعي والتاثير.
- عدم الاستقرارية حيث نشات في المجتمعات المتقدمة من رحم التطورات الاقتصادية وتمكنت من الإمساك بزمام القوة وفرض وتغيير الأنظمة السياسية والقوانين التي تمثل مصالحها. أما في المجتمعات النامية فإن تطور هذه الطبقة كان نتاج للسلطة التي أمسك العسكر بها ولم تكن نتاج طبيعي وتراكمي لتطور المجتمع ، لذلك فإنها أصيبت منذ البداية بتشوهات الهوية ووضوح الرؤيا حيث تشكلت هذه الطبقة في وقت مبكر من شقين الأول هو ضباط الجيش الذين قاموا بثورات وانقلابات في معظم هذه البلدان بما يمكن أن نطلق عليه بالموجة الأولى للاستقلال السياسي وتحول هؤلاء العسكريون إلى طبقة حاكمة استأثرت بالسلطة، والثاني كان مدنيا وتألف من الكوادر الفنية الهندسية والطبية والصناعيين وبقية صنوف المثقفين.
- العقلانية والواقعية بسبب حصانتها المتأتية من مستوى دخلها المتوسط، ووعيها المتقدم بكونها عناصر واقعية متعقلة بعيدة عن التأثيرات العاطفية والأفكار الديماغوجية مقارنة بشرائح المجتمع الأخرى.
- الديناميكية والحيوية بامتلاكها فضاءا حيا وواسعا وأفكار متنوعة في المجتمع مما يكسبها حيوية وفعالية، إبتداءا بالايدولوجيا الإسلامية والأفكار الماركسية والايدولوجيا القومية والأفكار الليبرالية وغبرها من هذه الرؤى والتصورات.
- التسامح وعدم التعصب حيث لا يمكن للضابط أو الطبيب أو المهندس اوالفنان أن يكون طائفيا أو عنصريا.
- القوة الذاتية التي تمتلكها هذه الطبقة، فإذا كانت القوة في المجتمع تستند إلى الثروة وملكية الأراضي والقوة المنظمة التي تمثلها مؤسسات الضبط، كالبرلمان والحكومة والجيش والشرطة، فإن عناصر القوة الذاتية لدى الطبقة المتوسطة تمتاز بالاستمرارية والثبات كونها غير مستمدة من السلطة وقراراتها بقدر ما هي مؤهلات نابعة من تحصيل عناصر هذه الطبقة لمكانتها بجهودها الذاتية بعكس قوة السلطة القابلة للتغيير أو الزوال والضعف. إضافة إلى امتلاك قوة المجتمع من خلال النقابات والتنظيمات المهنية التي تظم اكبر قدر من شرائح المجتمع وهو مصدر هائل للقوة لا ينضب ومتجدد مقارنة بمصدر المال وأدوات القهر.

- الابتكار والإبداع باعتبارها الوعاء الاجتماعي لإنتاج الأفكار والقيم الخلاقة إضافة إلى الثقافة والفن كالمسرح والشعر والنحت والرسم والمخترعات.
- الانفتاح والرغبة في اكتساب المزيد من المعارف والعلوم العصرية واللحاق بركب الحضارة والتطور ومسايرة كل ما هو حديث.

الاندفاع نحو المستقبل والميل نحوه لذا نجدها الطبقة الأقل استهلاكا لوقتها وجهدها في الانغماس والتقوقع بخنادق الماضي واجتراره وهي بذلك تكون الطبقة الأكثر تحررا من قيود المجتمع المتوارثة وأثقاله التي كثير ما تحدد حركة الفرد وبوصلته